من أمجاد الجزائر

(1962 - 1830)

سلسلة تاريخية ثقافية تصدر عن وزارة المجاهدين

الشهيدة

حسيبة بن بوعلي

1957 - 1938

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-10-2
الإيداع القانوني : 2009-5457

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

الشهيدة

حسيبة بن بوعلي

1957 - 1938

قَامَ وَلِيدٌ وَجَدُّهُ الْمُجَاهِدُ -الَّذِي كَانَ يُدْعَى إِبَّانَ الثَّوْرَةِ "الْمُخْلِصَ"- بِرِحْلَةٍ سِيَاحِيَّةٍ عَبْرَ مَنَاطِقِ الوَنْشَرِيسِ. وَلَمَّا طَالَ صَمْتُ الجَدِّ، سَأَلَهُ الطِّفْلُ: فِيمَا تُفَكِّرُ يَا جَدِّي؟

فَرَدَّ الجَدُّ قَائِلاً: لا أَدْرِي لِمَاذَا كُلَّمَا تَنَقَّلْتُ عَبْرَ الطَّرِيقِ الوَطَنِيِّ الرَّابِطِ بَيْنَ مَدِينَةِ الشَّلف وَمَدِينَةِ «بُرْجْ بُونعَامَة»، شَدَّنِي حَنِينٌ وَشَوْقٌ لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ تِلْكَ المِنْطَقَةِ، وَشُهَدَائِهَا الَّذِينَ وَهَبُوا أَرْوَاحَهُمْ فِدَاءً لِوَطَنٍ اسْمُهُ الجَزَائِرُ.

وَلِيدٌ: مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ هَذِهِ المِنْطَقَةِ يَا جَدِّي؟

الجَدُّ: كَبِرْتُ وكَبِرَتْ مَعِي تَفَاصِيلُ وَطَنٍ كَبِيرٍ، وَعِشْتُ الثَّوْرَةَ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا، فَذَاكِرَتِي مَازَالَتْ تَحْتَفِظُ بِبُطُولاَتِ وَأَمْجَادِ هَذَا الوَطَنِ الكَبِيرِ بِحَجْمِ قَارَّةٍ بِكَامِلِهَا. فَفِي هَذِهِ المِنْطَقَةِ مَسْقَطِ رَأْسِ شَهِيدَةٍ دَوَّخَتْ كِبْرِيَاءَ الطُّغَاةِ، وَأَذَلَّتْ جُنُودَ جَيْشِ الاحْتِلالِ الفَرَنْسِيِّ، رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهَا؛ إِنَّهَا الشَّهِيدَةُ الجَمِيلَةُ الَّتِي لَمْ تَمْضِ سِوَى سَنَتَيْنِ مِنْ عُمْرِهَا الثَّوْرِيِّ حَتَّى أَصْبَحَتْ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ.

تَنْحَدِرُ هَذِهِ الشَّهِيدَةُ مِنْ أَصْلٍ رِيفِيٍّ،

وَتَحْديداً مِنْ قَرْيَة (أوْلاَد علي): تلْكَ القَرْيَةُ الَّتي تَمْتَدُّ صُعُوداً باتِّجَاه قَرْيَة (الصّوَامت) وَبأسْفَلَ منْهَا قَرْيَةُ (بَني ودرن)، وَذَلكَ عَبْرَ حُدُود بَلَديَّة سَنْجَاسْ الَّتي كَانَتْ تَحْملُ اسْمَ المُعَمّر الفَرَنْسيِّ (بُوقَانْفيلْ) الَّذي كَانَ يَسْتَغلُّ الأرَاضيَ الفلاَحيَّةَ في تلْكَ الجهَة.

هَذه المنْطَقَةُ ارْتَوَتْ أرْضُهَا بدمَاء أسْمَاء كَثيرَةٍ منَ الشُّهَدَاء؛ لَقَدْ شَاءَت الأقْدَارُ، يَا بُنَيَّ أنْ تَرَى تلْكَ الفَتَاةُ الحَسْنَاءُ النُّورَ في جَانْفي منْ عَامِ 1938، هَلْ عَرَفْتَهَا؟

وَلِيدٌ: لاَ، لَمْ أعْرِفْهَا.

الجَدُّ: إنَّهَا الشَّهيدَةُ (حَسيبَة بن بُوعْلي)

كَانَ مِيلاَدُهَا بِمَدِينَةِ الشَّلف (الأصْنَام آنَذَاكَ)، بَعْدَ أَنْ هَاجَرَتْ أسْرَتُهَا مِنَ الرِّيفِ إِلَى المَدِينَةِ.

كَبِرَت الطِّفْلَةُ الجَمِيلَةُ فِي أسْرَةٍ مَيْسُورَةِ الحَالِ لَمْ تَبْخَلْ عَلَيْهَا بِأيِّ شَيْءٍ. وَلَمَّا بَلَغَت السَّادِسَةَ مِنَ العُمُرِ، الْتَحَقَتْ بِالمَدْرَسَةِ الفَرَنْسِيَّةِ لِتُوَاصِلَ تَعْلِيمَهَا الابْتِدَائِيَّ فِي مَدِينَةِ الشّلف، وَلَمَّا أَكْمَلَت العَاشِرَةَ مِنَ العُمُرِ، وَتَحْدِيداً عَام 1948، انْتَقَلَتْ أَسْرَتُهَا إِلَى الجَزَائِرِ العَاصِمَةِ. وَهُنَاكَ وَاصَلَتْ دِرَاسَتَهَا. وَكَانَتْ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الذَّكَاءِ وَالفِطْنَةِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ تِلْكَ الرِّحَلاَتِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ بِهَا ضِمْنَ صُفُوفِ الكَشَّافَةِ الجَزَائِرِيَّةِ،

كَمَا اطَّلَعَتْ عَلَى أوْضَاعِ الشَّعْبِ الجَزَائِرِيِّ السَّيِّئَةِ وهِيَ لَمْ تَزَلْ طَالِبَةً فِي المَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ (بِثَانَوِيَّةِ عُمَر رَاسِم حَاليّا).

ظَلَّت الفَتَاةُ الحَسْنَاءُ مُنْشَغِلَةً بِمُعَانَاة أبْنَاء وَطَنِهَا، وَهِيَ تُشَارِكُ بَعْضَ زُمَلائِهَا الأفْكَارَ الرَّافِضَةَ للاحْتِلاَل الفَرَنْسِيِّ، وَبَدَأتْ تُخَامِرُ ذِهْنَهَا فِكْرَةُ الالْتِحَاق بِصُفُوف الثَّوْرَة وَالانْقِطَاعِ عَنِ الدِّرَاسَة، وَقَد اسْتَقَرَّ رَأيُهَا عَلَى الانْضِمَامِ بِصِفَةٍ رَسْمِيَّةٍ وَهِيَ فِي سِنِّ السَّابِعَ عَشْرَةَ.

وَمَعَ مَطْلَعِ عَامِ 1955، انْضَمَّتْ إِلَى صُفُوف جُنُود الثَّوْرَة التَّحْرِيرِيَّة، وكَانَتْ تُقَدِّمُ العَوْنَ وَالْمُسَاعَدَةَ لِكُلِّ أَسْرَةٍ فَقِيرَةٍ أوْ

مَرِيضَةٍ، تَسْهَرُ عَلَى رَاحَةِ البُسَطَاءِ، لِتُخَفِّفَ عَنْهُمْ مُعَانَاةَ الفَقْرِ وَالحِرْمَانِ فِي ظِلِّ الاِحْتِلاَلِ الغَاشِمِ.

وَبَرَزَ نَشَاطُهَا الفَعَّالُ سَنَةَ 1956، حِينَمَا أَصْبَحَتْ عُنْصُراً نَشِيطًا فِي فَوْجِ الفِدَائِيِّينَ المُكَلَّفِينَ بِصُنْعِ وَنَقْلِ القَنَابِلِ. لَقَدْ اسْتَغَلَّتْ فُرْصَةَ وُجُودِهَا بِمُسْتَشْفَى (مُصْطَفَى بَاشَا الجَامِعِيّ)، وَذَلِكَ لِلْحُصُولِ عَلَى مَوَادَ كِيمْيَاوِيَّةٍ لِصُنْعِ المُتَفَجِّرَاتِ، وَكَانَ لَهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ بِرُفْقَةِ زُمَلاَئِهَا مِنَ الفِدَائِيِّينَ فِي مُوَاجَهَةِ مُخَطَّطَاتِ العَدُوِّ أَثْنَاءَ (مَعْرَكَةِ الجَزَائِرِ) تِلْكَ المَعْرَكَةِ الَّتِي أَلْحَقَتْ بِالمُسْتَعْمِرِ خَسَائِرَ فَادِحَةً فِي الأَرْوَاحِ وَالعَتَادِ.

الْتَحَقَتْ حَسِيبَةُ حِينَذَاكَ بِصُفُوفِ الثَّوْرَةِ بِصِفَةٍ نِهَائِيَّةٍ بِحَيِّ القَصَبَةِ العَتِيقِ، وَقَدْ حَذَّرَتْهَا أُسْرَتُهَا مِنْ غَضَبِ عَنَاصِرِ جَيْشِ الْمُسْتَعْمِرِ الفَرَنْسِيِّ الَّذِينَ ظَلُّوا يَتَرَدَّدُونَ عَلَى مَسْكَنِهَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَكْتُوبر مِنْ عَامِ 1956.

انْقَطَعَتْ حَسِيبَةُ عَنْ بَيْتِهَا العَائِلِيِّ، وَظَلَّ الحَنِينُ يَعْتَصِرُ قَلْبَهَا الفَتِيَّ وَرُوحَهَا التَّوَّاقَةَ إِلَى الحُرِّيَّةِ وَالنَّصْرِ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا الْمُقَامُ فِي حَيِّ القَصَبَةِ تَعَرَّفَتْ عَلَى العَدِيدِ مِنْ مَسْؤُولِي الثَّوْرَةِ، وَظَلَّتْ تُوَاصِلُ نَشَاطَهَا الفِدَائِيَّ فِي قَلْبِ شَوَارِعِ الجَزَائِرِ العَاصِمَةِ بِوَضْعِ الْمُتَفَجِّرَاتِ فِي مَحَلَّاتِ وَمَتَاجِرِ الْمُعَمِّرِينَ الفَرَنْسِيِّينَ. وَكَانَتْ تَعْتَمِدُ

عَلَى طُرُقٍ وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ فِي التَّمْوِيهِ عَنْ أَنْظَارِ الْمُسْتَعْمِرِ. وَلَعَلَّهَا كَانَتْ عَلَى عَلاَقَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ الْفِدَائِيِّ مَعَ الشَّهِيدَةِ (وُرَيْدَة مَدَّاد) الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِ عُمُرِهَا. شَاءَ القَدَرُ أَنْ تُولَدَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ.

تَعَرَّفَت الشَّهِيدَةُ حَسِيبَة بَنْ بُوعلي عَلَى (عَلِي لاَبْوَانت) الْمَوْلُود بِمَدِينَة خَمِيسْ مَلْيَانَةَ، كَمَا تَعَرَّفَتْ عَلَى (الشَّهِيد عَمَّار يَاسَف)، وَاضْطُرَّتْ حَسِيبَةُ أَنْ تَتَأَقْلَمَ مَعَ الْوَضْعِ الْجَدِيد لِتَعِيشَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُجَاهِدَات فِي تِلْكَ الْمَلاَجِئِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا، وَمِنْهَا كَانُوا يَنْطَلِقُونَ لِتَنْفِيذ أَعْمَالِهِمُ الْفِدَائِيَّةِ ضِدَّ الْمُحْتَلِّ الفَرَنْسِيِّ. وَلَمْ

تَغْفُلْ عَيْنُ المُحْتَلِّ عَنْ مُتَابَعَة حَسِيبَةَ وَتَتَبُّعِ أثَرِهَا فِي الأحْيَاء الشَّعْبِيَّة وَهِيَ تَرْتَدِي اللِّبَاسَ التَّقْلِيدِيَّ تَارَةً، وَتَارَةً أخْرَى اللِّبَاسَ العَصْرِيّ.

وَجَاءَ اليَوْمُ المَشْهُودُ بَعْدَ أنْ أفْشَى أحَدُ الخَوَنَة مَكَانَ تَوَاجُدِهَا، فَكَانَت اللَّحْظَةُ الحَاسِمَةُ، حَيْثُ حَاصَرَ جُنُودُ الاحْتِلاَل المَنْزِلَ الَّذِي كَانَتْ تَتَوَاجَدُ به حَسِيبَةُ وَرِفَاقُهَا مِنَ المُجَاهِدِينَ، وَوَقَعَتْ مُوَاجَهَةٌ عَنِيفَةٌ، وَأمَامَ رَفْضِ حَسِيبَةَ بن بوعلي وَمَنْ مَعَهَا تَسْلِيمَ أنْفُسِهِمْ، قَامَ جُنُودُ الاحْتِلاَل بِنَسْف المَبْنَى بِمَنْ فِيه، وكَانَ ذَلِكَ فِي الثَّامِنِ مِنْ أكْتُوبَر عَامَ 1957.

وَبِاسْتِشْهَادِهَا انْتَهَتْ أُسْطُورَةُ الفِدَائِيَّةِ الخَطِيرَةِ وَالمَرْأَةِ الجَمِيلَةِ الَّتِي كَانَ قَلْبُهَا عَلَى الوَطَنِ، وَعَيْنُهَا عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِهَا المُثْقَلِ بِالآلَامِ وَالمِحَنِ فِي ظِلِّ مُحْتَلٍّ لاَ يَرْحَمُ.

لَقَدْ دَامَ عُمْرُهَا الثَّوْرِيُّ سَنَتَيْنِ، كَانَتَا بِمَثَابَةِ دَهْرٍ طَوِيلٍ فِي وُجُوهِ الغَاصِبِينَ، وَهِيَ تُمْسِكُ رَشَّاشَهَا الصَّغِيرَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَكَأَنَّهُ يَتَحَدَّى المُحْتَلَّ لِيُغَنِّيَ أُغْنِيَةَ النَّارِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ العَرَبِيُّ:

صَامِتٌ لَوْ تَكَلَّمَا لَفَظَ النَّارَ وَالدِّمَا
قُلْ لِمَنْ عَابَ صَمْتَهُ خُلِقَ الحَزْمُ أَبْكَمَا
وَأَخُو الحَزْمِ لَمْ تَزَلْ يَدُهُ تَسْبِقُ الفَمَا

وَظَلَّتْ جَذْوَةُ الثَّوْرَةِ تَتَجَدَّدُ، فَكُلَّمَا رَحَلَ مُجَاهِدٌ خَلَفَهُ مُجَاهِدٌ مِنْ بَاقِي الرِّفَاقِ، وكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ أو النَّصْرَ مِنْ أجْلِ أنْ تَحْيَا الجَزَائِرُ حُرَّةً مُسْتَقِلَّةً.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار